بسم الله الرحمن الرحيم

رَمَضَانُ.. مَوْسِمُ تِجَارَةٍ مَعَ اللهِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي ﴿اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(١). وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُجْزِلُ لِعِبَادِهِ الْعَطَايَا وَالْهِبَاتِ، وَيُكْرِمُهُمْ بِمَوَاسِمَ يَعْظُمُ فِيهَا أَجْرُ الطَّاعَاتِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ، وَزَكَّى وَقَامَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي سَبِيلِ الْبِرِّ مُسَارِعِينَ، وَفِي الْخَيْرَاتِ سَابِقِينَ، عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي – عِبَادَ اللهِ – بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

يُرْوَى أَنَّ مجَاعَةً وَقَحْطًا أَصَابَ النَّاسَ فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَاشْتَدَّتْ حَاجَتُهُمْ وَمَسْغَبَتُهُمْ، فَنَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ يَوْمًا عِيرٌ لِذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَدْ قَدِمَتْ مِنَ الشَّامِ، فَإِذَا هِيَ أَلْفُ بَعِيرٍ مَوْسُوقَةٍ بُرًّا وَزَيْتًا وَزَبِيبًا، فَأَنَاخَتْ بِبَابِ عُثْمَانَ، فَلَمَّا جَعَلَ أَحْمَالَهَا فِي دَارِهِ، جَاءَهُ التُّجَّارُ، فَقَالَ لَهُمْ: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: بِعْنَا مِنْ هَذَا الَّذِي وَصَلَ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَأَرْبَحُوهُ بِالدِّرْهَمِ دِرْهَمَيْنِ، فَقَالَ لَهُمْ: أُعْطِيتُ زِيَادَةً عَلَى هَذَا، قَالُوا: نُرْبِحُكَ أَرْبَعَةً، قَالَ: أُعْطِيتُ أَكْثَرَ، قَالُوا: نُرْبِحُكَ خَمْسَةً، قَالَ: أُعْطِيتُ أَكْثَرَ، فَقَالُوا: مَا فِي الْمَدِينَةِ تُجَّارٌ غَيْرُنَا، وَمَا سَبَقَنَا أَحَدٌ إِلَيْكَ، فَمَنِ الَّذِي أَعْطَاكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَيْنَا؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةً، فَهَلْ عِنْدَكُمْ زِيَادَةٌ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُ اللهَ، أَنِّي جَعَلْتُ مَا حَمَلَتْ هَذِهِ الْعِيرُ صَدَقَةً للهِ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَخَذَ يُفَرِّقُ بِضَاعَتَهُ، فَمَا بَقِيَ مِنْ فُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلاَّ أَخَذَ مَا يَكْفِيهِ وَأَهْلَهُ. إِنَّهُ حَالُ الْمَرْءِ عِنْدَمَا يُرِيدُ التِّجَارَةَ مَعَ اللهِ

(١) سورة التوبة / ١١١.
(٢) سورة الحشر / ١٨ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ، لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾(١). فَإِذا كَانَ تُجَّارُ مَتَاعِ الدُّنْيَا يَتَنَافَسُونَ فِي أَسْوَاقِهِمْ، وَيَبْذُلُونَ الْجُهْدَ فِي إِرْبَاحِ تِجَارَتِهِمْ، وَيَسْلُكُونَ السُّبُلَ لِتَحْقِيقِ غَايَاتِهِمْ، فَإِنَّ أَهْلَ التِّجَارَةِ مَعَ اللهِ لَكَذَلِكَ يَصْنَعُونَ، حِرْصًا، وَتَنَافُسًا، وَبَذْلاً، لَكِنَّ الْبَوْنَ شَاسِعٌ بَيْنَ تِجَارَةٍ وَتِجَارَةٍ، بَيْنَ تِجَارَةٍ لا تَتَجَاوَزُ الْمَادِّيَّاتِ، وَتِجَارَةٍ تَسْمُو بِهَا الرُّوحُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، بَيْنَ تِجَارَةٍ قَدْ تَنْحَصِرُ فِي الْمَنْفَعَةِ الشَّخْصِيَّةِ، وَتِجَارَةٍ يَنْتَقِلُ بِهَا الْخَيْرُ لِنَفْعِ الْغَيْرِ، بَيْنَ تِجَارَةٍ لا تَتَعَدَّى مَيْدَانَ الدُّنْيَا، وَتِجَارَةٍ يَعُمُّ شَذَا أَرِيجِهَا الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ.

مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ:

يَأْتِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى الْمُصْطَفَى ﷺ بِكُلِّ مَالِهِ مُتَصَدِّقًا لِيَوْمِ تَبُوكَ، فَيَسْأَلُهُ نَبِيُّ اللهِ: ((يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟))، قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، إِنَّهَا تِجَارَةٌ مَعَ اللهِ. وَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ))، صَارَ لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً، صَلاةً وَتَهَجُّدًا، إِنَّهَا تِجَارَةٌ مَعَ اللهِ. وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ تَكْثُرُ صَدَقَتُهُ وَإِنْفَاقُهُ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ جَمِيعًا شُرَكَاءُ لابْنِ عَوْفٍ فِي مَالِهِ، يُقْرِضُهُمْ ثُلُثَهُ، وَيَقْضِي عَنْهُمْ دُيُونَهُمْ بِثُلُثِهِ، وَثُلُثٌ يَصِلُهُمْ بِهِ وَيُعْطِيهِمْ، إِنَّهَا صُوَرٌ مِنْ حَيَاةِ أَهْلِ التِّجَارَةِ مَعَ اللهِ، فَأَهْلُ التِّجَارَةِ مَعَ اللهِ هُمُ الْعَابِدُونَ الْمُخْلِصُونَ، وَالْمُنْفِقُونَ الْمُتَصَدِّقُونَ، وَالْمُصْلِحُونَ الْمُجْتَهِدُونَ، وَالْمُجَاهِدُونَ الْمُضَحُّونَ.

يَقُولُ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ عَنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢)، التِّجَارَةُ مَعَ اللهِ هِيَ الَّتِي أَقَامَتِ الْمُتَهَجِّدِينَ فِي السَّحَرِ ذِكْرًا وَشُكْرًا، هِيَ الَّتِي قَوَّتِ الصَّائِمِينَ لِتَحَمُّلِ السَّغَبِ وَالتَّعَبِ، وَسَهَّلَتْ عَلَى الدُّعَاةِ وَالْمُصْلِحِينَ بَذْلَ أَمْوَالِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ للهِ مُخْلِصِينَ، يَقُولُ اللهُ

(١) سورة فاطر / ٢٩ – ٣٠ .
(٢) سورة الصف / ١٠ – ١٢ .

تَعَالَى عَنْ هَؤُلاءِ التُّجَّارِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾(١)، فَأَكْرِمْ بِتِجَارَةٍ الْمُشْتَرِي فِيهَا هُوَ اللهُ، وَبِضَاعَتُهَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَعِوَضُهَا جَنَّةٌ ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢). إِنَّ تَصْوِيرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُجَازَاتَهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصْلِحِينَ بِتِجَارَةٍ مَضْمُونَةِ الرِّبْحِ، عَظِيمَةِ النَّفْعِ؛ لَيَحُثُّ الْعَبْدَ عَلَى الْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَالْعَمَلِ وَالْبَذْلِ، وَالتَّضْحِيَةِ وَالْعَطَاءِ، لَكِنَّ هَذَا لا يَكُونُ إِلاَّ حَالَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي تَتُوقُ نَفْسُهُ إِلى جَنَّةِ رَبِّهِ، وَيَسْمُو بِوِجْدَانِهِ حُبُّ مَرْضَاتِهِ، أَمَّا غَيْرُهُ مِنَ السَّاهِينَ اللاهِينَ، فَلا يُحَرِّكُ فِي نُفُوسِهِمْ هَذَا التَّصْوِيرُ سَاكِنًا؛ لأَنَّهُمْ بِالدُّنْيَا مُتَعَلِّقُونَ، وَعَنِ الآخِرَةِ غَافِلُونَ، قَدْ تَشَبَّثَتْ نُفُوسُهُمْ بِالْعَاجِلِ، وَزَهِدُوا فِي الثَّوابِ الآجِلِ.

مَعَاشِرَ التُّجَّارِ مَعَ اللهِ:

إِنَّ لِكُلِّ تِجَارَةٍ مَوَاسِمَهَا، الَّتِي تَزْدَادُ فِيهَا أَرْبَاحُهَا، وَتَعْظُمُ فِيهَا مَنْفَعَتُهَا، وَهَذَا هُوَ حَالُ التِّجَارَةِ مَعَ اللهِ، فَلَهَا مَوَاسِمُ يَنْتَظِرُهَا الْمُؤْمِنُونَ بِشَوْقٍ، وَتَتَعَلَّقُ بِهَا قُلُوبُهُمْ، يَرْجُونَ بِهَا نَيْلَ دَرَجَاتِ الْقُرْبَى، وَيَطْمَعُونَ فِيهَا بِالزُّلْفَى، وَيُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لاسْتِقْبَالِهَا، كَمَا يَشْحَذُونَ الْهِمَمَ لاغْتِنَامِهَا. وَمِنْ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْعَظِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ – إِخْوَةَ الإِيمَانِ وَالتُّقَى – شَهْرُكُمُ الْقَادِمُ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(٣). شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي يُوشِكُ أَنْ يَفْتَحَ لَكُمْ أَبْوَابَهُ، وَيُرْخِيَ عَلَيكُمْ جِلْبَابَهُ، شَهْرُ رَمَضَانَ ذُو الرَّحْمَةِ الْمُسْدَلَةِ وَالْبَرَكَةِ الْمُسْبَغَةِ، يَقُولُ رَسُولُكُمُ الْكَرِيمُ ﷺ عَنْ حَالِ التُّجَّارِ مَعَ اللهِ وَمَا يَنَالُونَهُ فِي رَمَضَانَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) وَيَقُولُ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))، بَلْ يُبَيِّنُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَنَّهُ لَوْ عَلِمَ الْمَرْءُ حُدُودَ الرِّبْحِ وَأَبْعَادَ الْفَوْزِ فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّى أَنْ يَطُولَ مَوْسِمُهُ، وَتَزِيدَ أَيَّامُهُ، فَيَقُولُ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي: ((لَوْ عَلِمْتُمْ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّيْتُمْ أَنْ يَكُونَ سَنَةً)). فَيَا للهِ مَا

(١) سورة التوبة / ١١١ .
(٢) سورة آل عمران / ١٣٣ .
(٣) سورة البقرة / ١٨٥ .

أَجْمَلَ الْمُسَارَعَةَ إِلَى الطَّاعَاتِ وَالزِّيَادَةَ مِنَ الْقُرُبَاتِ فِي رَمَضَانَ، مَا أَجْمَلَ تِلاوَةَ الآيَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَوَاتِ فِيْهِ، وَمَا أَلَذَّ نَفَحَاتِ الاسْتِغْفَارِ فِي الأَسْحَارِ، وَمَا أَطْيَبَ الصَّبْرَ عَلَى الْعَطَشِ وَالْجُوعِ وَالرَّغَبَاتِ، طَمَعًا فِي مَرْضَاةِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ. وَهَا أَنْتُمْ –أَيُّهَا الأَحِبَّةُ – قَدْ صِرْتُمْ هَذِهِ الأَيَّامَ تُعَطِّرُونَ مَجَالِسَكُمْ بِذِكْرِ قُدُومِهِ الْمَيْمُونِ، وَخَيْرِهِ الْمَكْنُونِ، وَتَتَطَلَّعُونَ لِرُؤْيَةِ هِلالِهِ، وَتَتُوقُونَ إِلى حُسْنِ اسْتِغْلالِهِ. فَهَنِيئًا لَكُمْ تَعَلُّقُكُمْ بِمَوْسِمِ الْخَيْرَاتِ، وَحِرْصُكُمْ لِنَيْلِ الْبَرَكَاتِ فِيهِ وَالنَّفَحَاتِ، وَرَجَاؤُكُمْ أَنْ تَكُونَ تِجَارَتُكُمْ مَعَ رَبِّكُمْ فِيهِ رَابِحَةً، وَجُهُودُكُمْ لِنَيلِ ذَلِكَ نَاجِحَةً.

بَلَّغَكُمُ اللهُ شَهْرَكُمْ، وَأَنَالَكُمْ مَطْلُوبَكُمْ، وَجَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ التِّجَارَةِ مَعَهُ، الَّذِينَ بَشَّرَهُمْ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، ﴿ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١)

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاعْلَمُوا – عِبَادَ اللهِ – أَنَّ أَوَّلَ خَطْوَةٍ مُهِمَّةٍ لِحُسْنِ اسْتِغْلالِ رَمَضَانَ تَبْدَأُ مِنَ الآنَ، وَذَلِكَ بِحُسْنِ الاسْتِعْدَادِ لَهُ، بِتَعْوِيدِ النَّفْسِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَالإِكْثَارِ مِنَ الْقُرُبَاتِ، فَتُعَوِّدُ النَّفْسُ عَلَى الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ قَبْلَ رَمَضَانَ، كَمَا تُعَوَّدُ عَلَى التَّصَدُّقِ وَالإِنْفَاقِ، وَعَلَى الإِكْثَارِ مِنْ تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ، حَتَّى إِذَا حَلَّ الشَّهْرُ اسْتَقْبَلَهُ الْعَبْدُ بِنَفْسٍ اعْتَادَتِ الْمُسَارَعَةَ إِلَى الْخَيْرِ وَالإِكْثَارَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ؛ فَيَكُونُ مُسْتَحِقًّا لِلثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَالأَجْرِ الْعَظِيمِ، فَهَلْ هَيَّأْنَا نُفُوسَنَا لاسْتِقْبَالِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ حَقًّا – أَيُّهَا الْكِرَامُ –؟ هَلْ تَسَابَقْنَا فِي مَيْدَانِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ اسْتِعْدَادًا لِعَمَلِ الطَّاعَةِ فِيهِ؟ هَلْ وَضَعْنَا جَدْوَلاً زَمَنِيًّا

(١) سورة التوبة / ١١١ .

مُنْضَبِطًا لِلأَعْمَالِ الَّتِي سَنَقُومُ بِهَا وَيَقُومُ بِهَا أَبْنَاؤُنَا فِي هَذَا الشَّهْرِ الْفَضِيلِ؟ فَمَنْ كَانَتْ إِجَابَتُهُ بِـ(نَعَمْ)؛ فَهَنِيئًا لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ إِجَابَتُهُ بِـ(لا)؛ فَمَا زَالَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بَقِيَّةٌ لِيُعَوِّدَ نَفْسَهُ قِيَامَ اللَّيْلِ، وَمُضَاعَفَةَ الذِّكْرِ، وَالالْتِزَامَ بِوِرْدٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تِلاوةً وَتَدَبُّرًا، وَمَا زَالَ فِي الْوَقْتِ بَقِيَّةٌ لِيُعَوِّدَ نَفْسَهُ عَلَى مَدِّ يَدِ الْعَوْنِ وَالصَّدَقَةِ لِلْمُحْتَاجِينَ، مَا زَالَتْ عِنْدَهُ فُرْصَةٌ كَافِيَةٌ لِيُعِدَّ لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ خُطَّةً مُحْكَمَةً لاسْتِغْلالِ أَوْقَاتِ رَمَضَانَ وَمُضَاعَفَةِ الْعَمَلِ فِيهِ. إِنَّ هُنَاكَ مَنْ يُسَارِعُ هَذِهِ الأَيَّامَ – أَيُّهَا الأَحِبَّةُ – إِلى غَزْوِ الأَسْوَاقِ، وَكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ، يُنْفِقُ لِمَا لَذَّ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، وَيَشْتَرِي مَا يَلْزَمُ لِلْمَوَائِدِ وَالْوَلائِمِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مِنْ مَعِيبٍ إِذَا سَلِمَ الْمَرْءُ مِنْ أَمْرَيْنِ؛ الإِسْرَافِ وَتَضْيِيعِ فُرْصَةِ رَمَضَانَ. فَإِنْ كَانَ الْمَرْءُ يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِالإِعْدَادِ لِمَوَائِدِ رَمَضَانَ، مَعَ إِهْمَالِ الإِعْدَادِ لِحُسْنِ الْعَمَلِ فِيهِ؛ فَهَذَا عَيْنُ الْبَخْسِ لِحَقِّ الشَّهْرِ، وَعَيْنُ الْغَفْلَةِ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ وَفَضْلِهِ. وَأَمَّا الْمُنْفِقُ عَلَى مَوَائِدِهِ بِإِسْرَافٍ، فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ الانْحِرَافِ، أَلَمْ يَقُلِ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلا لِعِبَادِهِ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾(١)، وَالأَمْرُ يَزْدَادُ بَشَاعَةً – إِخْوَةَ الإِيمَانِ – إِنْ كَانَ مُمْتَزِجًا بِالْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ، يَقُولُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَكُونُوا مِنْ أَهْلِ التِّجَارَةِ مَعَ اللهِ، تَنَالُوا سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَنَعِيمَ الآخِرَةِ، وَأَحْسِنُوا الاسْتِعْدَادَ لِشَهْرِكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، بَارَكَ اللهُ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنْ شَعْبَانَ وَبَلَّغَكُمْ رَمَضَانَ، وَرَزَقَكُمْ صَوْمًا بِإِيمَانٍ وَاحْتِسَابٍ، إِيمَانٍ بِمَا عِنْدَهُ وَاحْتِسَابٍ لِثَوَابِهِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٣).

---

(١) سورة الإسراء / ٢٧ .
(٢) سورة القصص / ٨٣ .
(٣) سورة الأحزاب/ ٥٦.

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ، وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ، فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَالمُسْلِمِينَ، ووَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.